

الملتقى الإعلامي

حول

" علاقة تونس بمنظمة حلف شمال الأطلسي
من خلال الحوار المتوسطي".

كلمة

السيد كمال مرجان
وزير الدفاع الوطني
في الجلسة الافتتاحية

تونس، الإثنين 18 جوان 2007

بسم الله الرحمان الرحيم

السيد مساعد أمين عام منظمة حلف شمال الأطلسي،
أصحاب السعادة السفراء،
السادة ملحقي الدفاع لبلدان الحوار المتوسطي،
ضيوفنا الكرام،
سيداتي سادتي،

يشرفني ويسعدني أن أفتتح أشغال الملتقى الإعلامي حول
"علاقة تونس بمنظمة حلف شمال الأطلسي من خلال الحوار المتوسطي".
و يسرّني أن أعبر عن جزيل الشكر وعميق الامتنان لوزارة
الشؤون الخارجية والمعهد الديبلوماسي للتكوين والدراسات ولمنظمة حلف
شمال الأطلسي على إيجاد هذه الفرصة القيّمة للإلتقاء وفتح باب الحوار
حول موضوع تضعه بلادنا ضمن اهتماماتها في علاقاتها الدولية وفي
نطاق استشراف المستقبل.

ويطيب لي أيضا، بهذه المناسبة، أن أرحب بالضيوف الكرام من منظمة حلف شمال الأطلسي وأصحاب السعادة السفراء والسادة ملحقى الدفاع من مختلف البلدان الشقيقة والصديقة المنخرطة في الحوار المتوسطي وبالسادة ممثلي مختلف الوزارات والمؤسسات والمعاهد والمنظمات الحكوميّة وغير الحكوميّة وممثلي الإعلام.

كما يسرّني أن أنقل إليكم تحيّاات سيادة الرئيس زين العابدين بن علي وتقديره وتشجيعه لهذه المبادرة، فسيادته ما انفكّ يدعم مثل هذه اللقاءات التي من شأنها أن توفر مجالات الحوار وتعزز التعاون بين شعوب وبلدان البحر الأبيض المتوسط الذي نتوق جميعا إلى جعله بحيرة أمن وسلام واستقرار ونماء.

سيداتى، سادتى،

إنّ السياسة التي تنتهجها تونس في علاقاتها الدولية تنبع من إيمانها المطلق بالقيم الإنسانية النبيلة في التعامل بين الشعوب والدول وترتكز على تعلقها الدائم بالشرعيّة الدوليّة وبمبادئ الأمم المتحدة، وهي ما فتئت تنادي بتجسيم قيم التعاون والتضامن والعدالة في العلاقات الدولية وتدعو دوما إلى تكتل المجموعة الدولية لمجابهة كل ما يعرقل مسار العالم نحو تحقيق تلك المبادئ السامية.

وفي هذا الإطار، تندرج مقاربة سيادة الرئيس زين العابدين بن علي لمعالجة القضايا - المتوسطة، وهي مقاربة حضارية مستقبلية تقوم على أساس التمسك بتلك القيم واحترام تلك المبادئ والعمل على تجسيدها في المنطقة و في العالم ، وكما أشرت، في نطاق الحوار البناء والإحترام المتبادل وتأمين المصالح المشتركة .

وكما لا يخفى عليكم، كانت تونس أول من بادر، منذ سنة 1990 ، باقتراح عقد قمة بين عشر دول متوسطية كخطوة أولى أساسية لمؤتمر الأمن والتعاون حول المتوسط الذي دعا إليه كذلك سيادة رئيس الجمهورية . وكانت بلادنا أيضا سباقة في الدعوة والعمل على تأسيس فضاء أوروبي متوسطي للتنمية والتضامن يأخذ بعين الاعتبار تشابك المصالح وترابط المصير.

وتواصل مع هذا التوجه، نادينا في اجتماع وزراء الدفاع للدول الأعضاء بالحلف الأطلسي وزملائهم من دول الحوار المتوسطي بمدينة إشبيلية، باعتماد تمش جديد في العلاقات الدولية يجمع بين مقومات السلم والتنمية على أساس النظرة الشاملة والمتداخلة بين الأمن والإستقرار والتنمية الإقتصادية. ويتطلب ذلك ضرورة تحمّل كلّ الدول المعنية مسؤولياتها في إدراك الهدف المشترك وتوفير الفرص الملائمة لإرساء شراكة متضامنة تكفل لجميع الشعوب الإستفادة من التطور المعرفي والتكنولوجي والتحوّلات العالمية وتوظيفها في تدعيم التنمية والنهوض بالإنسان.

ومن هذا المنطلق، حرصت تونس على استغلال علاقات التعاون في المستويين الثنائي والإقليمي، الإستغلال الأمثل، لرفع التحديات التي يفرضها النظام العالمي الجديد، والإرتقاء بهذا التعاون إلى مستويات تخدم التنمية العادلة والمتضامنة في العالم. ونظرا لما شهدته العلاقات الدولية من تغيير جذري بعد سقوط جدار برلين أصبح من الضروري إعادة النظر في العديد من المعطيات والثوابت وحتى الهياكل بما فيها منظمة حلف شمال الأطلسي. وعلى هذا الأساس، بادرت بإقامة شراكة متكافئة بينها وبين الإتحاد الأوروبي وساهمت بصفة نشيطة في تفعيل مسار برشلونة الذي يحتاج إلى حركي ة جديدة بغاية إرساء فضاء متوسّطي يستجيب لطموحات دول المنطقة في الإستقرار والأمن.

واعتقادي أن هذا ليس غريبا على التونسيين، إذ أن الإعراف بالآخر واحترام رؤاه والتفتح على الغير والإعتدال والتسامح بقيت من تقاليد بلادنا الراسخة ومن شيمها المتميزة طوال ما يزيد عن ثلاثة آلاف سنة. فمنذ عهد قرطاج الذي إمتدّ ثمانية قرون قبل الميلاد، كانت هذه الأرض مفتوحة أمام كل من قصدها، فأوت العديد من الجاليات. ويؤكد بعض المؤرخين أن القائد القرطاجي "حنبل" كان يحارب روما لهدف فرض الأمن والسلم والتعاون بالحوض الغربي للمتوسط. وبقيت بلادنا على مر العصور أرض اللقاء، تفاعلت فيها عدّة حضارات طبعت، فيما بعد، الشخصية التونسية ونحتت العقلية التونسية.

سيداتي، سادتي،

تكتسي علاقات تونس ب بلدان البحر الأبيض المتوسط أهمية بالغة خاصة إذا اعتبرنا موقعها الإستراتيجي وتاريخ هذه العلاقات عبر الأزمان. ويمكن القول إن السعي، منذ إنطلاق الحوار المتوسطي سنة 1994 إلى يومنا هذا، إتجه بصفة متواصلة إلى مزيد تطوير هذه العلاقات وإثرائها، من أجل إعطاء الدفع اللازم للتعاون في هذا الإطار، بما يساعد على إرساء شراكة متضامنة داخل الفضاء المتوسطي وسلم دائمة بالمنطقة كلها.

وأملنا أن تشهد هذه الشراكة الدائمة الإضافي خاصة من حيث الإستثمار في المجالات التي تمس حياة الفرد والمجموعة مباشرة. لذا، وعلاوة على مشاركاتنا الفعالة في عدد من البرامج والأنشطة السنوية التي تقام في نطاق حلف شمال الأطلسي، نحرص على الإنخراط في المنظومات التي تهتمنا مباشرة، مثل منظومة تبادل المعلومات عبر الأنترنات، ومنظومة التعرف الآلي على البواخر، وتعيين أعضاء في اللجنة العلمية للسلم والأمن التابعة للحلف.

وأودّ، في هذا المقام، أن أسجّل بكل ارتياح القفزة النوعية التي حققها الحوار المتوسطي مع منظمة حلف شمال الأطلسي بشأن التعاون في منطقة البحر الأبيض المتوسط، وأثمن النتائج المسجلة التي تترجم عن مدى حماس كل الأطراف للتعاون النزيه والبناء .

كما لا يفوتني أن أنوّه بما تبذله منظمة " الناتو " وبقية الدول المنخرطة في الحوار المتوسطي من مبادرات هادفة وبرامج متميزة تتسم بالثراء والشمولية من أجل توجيه التعاون وتعزيزه نحو تحقيق أهداف كافة البلدان المعنية بهذا الحوار، في مجالات حيوية ومؤثرة، ونذكر منها مبادرة "الجهد الفاعل" التي تندرج في إطار الحملة العالمية لمقاومة الإرهاب، ومبادرة الحلف الأطلسي في مجال التكوين والتي ترمي إلى تحديث وتأهيل القوّات المسلحة لبلدان الضفة الجنوبية وتوحيد أساليب عملها لجعلها تعتمد، مع نظيراتها من بلدان الحلف، النظم والمقاييس نفسها وتعمل بالوثيرة نفسها، رغم تفاوت الإمكانيات والقدرات. وهذا يفرض علينا خيارا واحدا، وهو خيار التعاون المتكافئ الذي يأخذ في الحساب خصوصيات كل طرف، من أجل بلوغ ما نرجوه من خير لمنطقة البحر الأبيض المتوسط وأمنها وسلامتها .

و رغم ما تمّ التوصل إليه، في قمة إسطنبول سنة 2004، من وجوب الإرتقاء بالحوار المتوسطي إلى مستوى الشراكة، ورغم ما أفرزته قمة " ريقا " سنة 2006 من ضرورة اعتماد توجه سياسي شامل، فإنّ التأسيس لشراكة مع منظمة حلف شمال الأطلسي في كافة المجالات، وخاصة منها المجال الأمني، بما فيه مقاومة الإرهاب والهجرة غير الشرعية، يستدعي بالضرورة، حسب تقديرنا ، التشاور بين جميع الأطراف حول كافّة المشاغل القائمة، بغية بلورة رؤية مشتركة لواقعنا، بمختلف أبعاده الأمنيّة والاقتصاديّة والاجتماعية. كما يتطلب تعاوننا واقعيا يمهّد الطريق لتنمية مستدامة ومتوازنة لفائدة شعوبنا على أساس الترابط الوثيق بين السلم والأمن والاستقرار من ناحية والتنمية والتطور من ناحية أخرى. وهو التمشي الذي يحرص على تجسيمة سيادة الرئيس زين العابدين بن علي، إيماننا منه بأن لاتنمية دون أمن ولا أمن دون تنمية. ولقد انطلقت تونس في وضع هذا التوجه حيّز التطبيق منذ سنوات عديدة، في إطار نظرة شاملة للأمر تجعل من الجيش الوطني عنصرا فاعلا في معاضدة مجهود الدولة التنموي.

ويقيني أنّه من الصّالح ألا تقتصر المبادرات على البعد العمودي الواحد، بل يبدو من الصواب أن تأخذ هذه المبادرات بخصوصيات الجهات المقصودة دون أن تتجاوز أغراضها منطقة بلدان الحوار المتوسطي، رغم تشابه بعض العوامل مع مناطق أخرى شملت مبادرات أخرى، لأنّ لكلّ فضاء خصوصياته وظروفه وقدراته.

سيداتي، سادتي،

اسمحوا لي، قبل أن أختتم هذه الكلمة، أن أجدد الشكر لمنظمة حلف شمال الأطلسي لاختيارها تونس من ضمن البلدان التي تقام فيها هذه السلسلة من الملتقيات، وهو دليل إضافي على ما تحظى بها بلادنا من مكانة مرموقة على الصعيدين الإقليمي والدولي بفضل ما تزخر به من كفاءات وقدرات وما تنعم به من أمن واستقرار. وأملّي وطيد أن يحقق هذا الملتقى ما نرتضيه له في إطار التباحث والتشاور بين مختلف الأطراف حول ما يمكن للحوار المتوسطي أن يضيفه في سبيل دعم السلم والأمن بالمتوسط مع أنه يبقى مقترنا، كما أشرت إليه، بعملية السلام في الشرق الأوسط وفي حل دائم وعادل للقضية الفلسطينية.

وإذ أتمنى لهذه التظاهرة كامل التوفيق والنجاح، فإنني واثق في ثراء النقاش الذي سيدور خلال هذين اليومين، بحكم هذا الحضور النير. فالخبرات التي تتوفر لدى كافة المشاركين في الملتقى ستساهم في الخروج ب نتائج طيبة وملموسة من شأنها أن تساعد على تعزيز المسار ال جيّ د للحوار المتوسطي وتفاعله مع منظمة حلف شمال الأطلسي المدعوة إلى التطور تجاوبا مع التغيرات العالمية الكبرى. إننا نعمل جميعا من أجل إرساء الأمن والإستقرار في البحر الأبيض المتوسط على أساس الحوار البناء والتضامن النزيه.

هذا هو قدرنا وكان الله في عون الجميع.

وشكرا على حسن الإنتباه.